

الفصل الثاني

- (أ) تكافل في البناء والاستقرار
- (ب) تكافل في المحافظة على البقاء
- (ج) تكافل في الولاء
- عدم الخداع في الصلات بين الافراد والجماعة
- الرعاية والمسئولية
- اداء الواجب اولا

obeikandi.com

التكافل في البناء والاستقرار

اعتاد القرآن الكريم في توجيه خطابه إلى الجماعة الإسلامية كجماعة وأمة — لا كأفراد — أن يوجه نداءه ووصاياه إلى المؤمنين في صيغة الجمع فيقول :
يأيها الذين آمنوا .. المؤمنون والمؤمنات .. وما أشبه ذلك ، مما يدل على أن الأمر
المعنى لا يخصهم كأفراد متفرقين ، ولكن يخصهم في صلات بعضهم ببعض .
وصلات الأفراد بعضها ببعض هو معنى الجماعة والأمة .

ولو انتقلنا الآن إلى ما يطلبه الإسلام من المؤمنين به كجماعة وأمة لوجدناه
يدور حول : « التكافل » أو التضامن والتعاون . وهذا شيء طبيعي في تكوين
أية جماعة ، وفي صراعها من أجل البقاء ، وفي تمسكها من بلوغها ما تهدف إليه
في الحياة ، وتحقيق ما نيظ بها من رسالة .

والتكافل أو التضامن أنواعه متعددة أو مظاهره متنوعة : فهناك تكامل
وتضامن في البناء . وهناك تكافل في المحافظة على البقاء وصيانة الجماعة من الهجوم
الخارجي عليها كما يقول القرآن الكريم : « وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم
ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين »^(١) . وهناك تكافل في الولاء والإخلاص في
الروابط كما يقول : « والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض »^(٢) . وهناك
تكافل في تسوية الخلاف الداخلي بين أفراد الأمة : « إنما المؤمنون إخوة
فأصلحوا بين أخويكم وإتقوا الله لعلكم ترحمون »^(٣) .

وتحدث الآن عن التكافل في البناء والعمل من أجل الاستقرار ..

يطلب الإسلام : أن يتضامن المسلمون ، وأن يعاونوا في البناء وفي إقامة

(٢) التوبة : ٧١ .

(١) البقرة : ١٩ .

(٣) الحجرات : ١٠ .

حياة جماعية مستقرة . فقال : « وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان » . وقد شرح الله معنى : « البر » في آية أخرى ، في قوله : « ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ، ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبیین ، وآتى المال على حبه ذوى القربى والیتامى والمساكين وابن السبیل والسائلین وفى الرقاب ، وأقام الصلاة ، وآتى الزكاة ، والموفون بعهدهم إذا عاهدوا ، والصابرین فى البأساء والضراء وحین البأس ، أولئک الذین صدقوا وأولئک هم المتقون ^(١) » .

فالبر الذى طلب من المسلمین أن تکافلوا من أجله هو : عقيدة وعبادة .. وحسن معاملة .. وتحمل فى الشدائد .. ومنح وإعطاء فى الرخاء : إيمان بالله واليوم الآخر والكتاب والملائكة والنبیین .. وعبادة بإقامة الصلاة ، وإيتاء الزكاة .. وحسن معاملة بالوفاء بالعهد .. وتحمل وصبر فى البأساء والشدائد .. ومنح وبذل للعال على الرغبة فيه لمن يستحق العون والمساعدة من أبناء الجماعة .

والبر إذن مجموعة من الصفات يجب أن تكتسب وتحصل . والتعاون عليه هو تعاون على خلق السبیل القويم لاستقرار الجماعة ، ورفع أسباب الخسومة والاحتكاك بین الأفراد . وبداية هذه المجموعة من الصفات : الإیمان بالله ، وما يتصل به من الإیمان بالیوم الآخر والكتاب والملائكة والنبیین . وشأن الإیمان بالله وما يتصل به أن يحول بین الإنسان و بین أن یطغى بما یملك فى هذه الحیاة من جاه أو مال ، كما يحول بینة و بین أن یضف ویأس إذا سلب منه الجاه والمال ، أو إذا لم یصل إلى جاه أو مال فى حیاته . يحول أيضاً بینة و بین أن یخدع بزخارف هذه الحیاة حتى ینکر غیره ومشاركه فى الدم والقرابة أو فى

الجوار والوئام في سبيل الحصول على زخرفها . وعندئذ ليس له هدف إلا أن يعيش هو كما يشاء وكما يهوى . ولو على حساب أسرته وشعبه .

ونهاية هذه المجموعة من الصفات التي تعبر عن البر والتي طلب الاسلام من المسلمين كجماعة التعاون على تحصيلها هي : التحمل عند قسوة الحياة ، فلا يفقد الانسان نفسه ، ولا تفقد الجماعة كيائها وروابطها في أزمات الحياة وضيقها . وطالب تحمل قسوة الحياة ليس تخديراً لفريق من الناس وصرفاً له عن متع الحياة ، توفيراً لهذه المتع لفريق آخر في الجماعة . إنه طلب عام ممن يؤزم وتشق عليه الحياة لسبب ما . والانسان ليس صاحب وضع واحد في حياته ، وليس بآمن من الضيق بعد الرخاء .

وما بين بداية هذه المجموعة من الصفات .. ونهايتها من أداء العبادة والمنح والاعطاء ، وحسن المعاملة والوفاء بالعهود : هو أشبه بنتيجة للإيمان الصادق ، ثم في الوقت نفسه تهديد نفسي للصبر وتحمل أزمات الحياة ، وعدم فقد الإنسان ثقته في نفسه وفي الله خاتمه . ولذلك عقب الله في هذه الآية بقوله : « أولئك هم المتقون » .. أي فإن هؤلاء الذين يحصلون هذه المجموعة من الصفات هم الذين صدقوا في إيمانهم واتقوا الله في سلوكهم . فالتعاون في البر تعاون على البناء والاستمرار في حياة الأمة . وهو تعاون أيضاً على كبت أسباب الخصومة والشحناء . وذلك هو قوله جل شأنه : « ولا تعاونوا على الإثم والعدوان » . فالإسلام لا يريد من جماعة المؤمنين به غير البناء ، والعمل المثمر للخير وخير الناس جميعاً . ويحدد طلبه لتعاونهم وتكافلهم في هذه الدائرة الإيجابية ، بأنهم لا يتجاوزون به إلى ما يسبب الهدم والشقاء من الإثم والعدوان ، أي مما يعد به الإنسان مذنباً أمام الله ومتعدياً على غيره أمام الناس .

تيان وعادة ومعاونة :

التكافل في البناء هو تكافل في الخير ، وتضامن على عدم الإيذاء. وأساسه الإيمان بالله ، وأداؤه ما يجب على الإنسان أدائه من عبادة لربه ، وكذا أداء ما يجب على المؤمن أدائه لأخيه المؤمن من الوفاء بالعهد الذي يهدف إلى الخير ، ومعاونته بما له في الظروف التي تدعو إلى المعاونة ، ثم عدم فقد الثقة بالنفس وبالله عندما تقسو أزمة من أزمات الحياة .

رسالة المسلمين :

ورسالة المسلمين في الحياة إذن ليست رسالة هدم ، وليست رسالة كسل وبطالة ، وليست رسالة ضعف واستكانة أمام أحداث الحياة ، وليست رسالة تحصيل متع فردية أو منافع طائفيه . إنها رسالة البناء والاستقرار ، منكم جميعا ، وإليكم جميعا . وتعاونكم هو تعاون في تحقيق هذه الرسالة . فأنتم لكم رسالة . وواجب عليكم التعاون في أدائها . وأنتم لذلك أمة وجماعة لا أفراد وطوائف .

التكافل في المحافظة على البقاء

كما يطلب الإسلام تكافل المسلمين وتضامنهم في الدفاع عن وجودهم .
والمحافظة على بقائهم . يقول الله تعالى في قرآنه الكريم :

« وَكَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ ، وَلَا تَمْتَدُّوا إِنْ اللَّهُ لَا يُحِبُّ
الْمُعْتَدِينَ ^(١) » .

ومعنى قوله [في سبيل الله] هنا : تلك الناية التي اجتمعت من أجلها جماعة
المؤمنين وأصبحت مميزة بها . وهي غاية الإيمان بالله ، والعمل للشر في الحياة ،
لا من الوجهة المادية فقط ولكن من الوجهة النفسية والروحية قبل ذلك . سبيل الله
هو الرسالة التي وضع معالمها الكتاب المنزل ، وهي رسالة الأخوة والصفاء ،
ورسالة البناء والانتاج ، ورسالة التعاون والمشاركة ، في سبيل حياة أفضل وفي سبيل
سلام أكثر استقراراً واطمئناناً .

فإذا قاتل هذه الجماعة المؤمنة بهذه الرسالة ، فريق من غير أهلها ، فواجب
المؤمنين أن يتكافلوا ويتضامنوا في دفع هذا القتال ، يجب عليهم أن يقاتلوا الذين
يقاتلونهم ، ولكن وجوب تضامنهم وتكافلهم في دفع هذا القتال مشروط بأن
يكون الباعث عليه هو المحافظة على أهداف جماعتهم ، هو أن يكون في سبيل الله .
ولم تكن جماعة المؤمنين جماعة إلا عند اجتماعها على هذه الأهداف . إذ
بدون هذه الأهداف هم أفراد عاديون ، هم أفراد متفرقون يتبعون سبلا شتى .
وإذن سبيل الله هو شعار جماعتهم ، وإذن بقاء جماعتهم رهن ببقاء هذا الشعار .
فإذا لم يقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونهم ليعصروهم عن سبيله ، ذهب معنى الجماعة
من نفوسهم وفي علاقة بعضهم ببعض .

أنتم مسلمون أى تتبعون رسالة الإسلام . وأنتم جماعة ، وشعار جماعتكم سبيل الله ، فواجب عليكم أن تنازروا في دفع العدوان عليكم من أجل شعار جماعتكم ، من أجل بقاءكم جماعة وأمة . ومن يقاتلكم من أجل أهدافكم في حياتكم كجماعة ، ومن يعمل على تفريق جماعتكم في عزم وتصميم ، ومن يباعد بينكم وبين شعار جماعتكم ، ومن يحاول أن يملككم أفراداً بعد أن أصبحتم إخواناً ، وبعد أن كنتم خيرامة أخرجت للناس ، ومن يعمل على إفسائكم وإذلالكم ، هو في منزلة من يقاتلكم إذ كل واحد من هذه الأعمال بمثابة القتل في نتيجته . إذ نتيجة قتلكم : ذهاب جماعتكم التي اجتمعت في سبيل الله .

وقتلكم هؤلاء . هو ردكم لعملهم كي تحافظوا على بقاءكم ، وكى تصونوا أنفسكم كجماعة لها كيان مستقل . وردكم لعمل هؤلاء الذين يحاولون القضاء عليكم ، وتضامنكم جميعاً في هذا الرد أوجبه هذه الفقرة في الآية الكريمة : « وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم » .. فالخطاب فيها موجه لجميع المؤمنين ، وهو بصفة الأمر والوجوب .

١ — ولأن الإسلام حريص على السلام والاستقرار في ذاته حرصه على بقاء جماعتكم — نهاكم في نفس الآية ، عن الاعتداء على غيركم فقال : « ولا تعتدوا » ثم أكد هذا بقوله بعد ذلك : « إن الله لا يحب المعتدين » . لأن الاعتداء هدم ليس فيه بناء . ولكن قتال المقاتل لكم هو دفع لاعتدائه ، هو دفع لهدمه لرسالتكم وجماعتكم ، فهو بناء . لأن الحيلولة دون الهدم تنطوي على بناء .

وهذه الآية الكريمة ، فيما أمرتكم به من دفع عدوان غيركم عليكم ، وفيما نهتكم عنه من اعتدائكم على غيركم — حددت خطتكم وموقفكم من جماعتكم : يجب أن تتكلموا وتدافعوا عن هذه الجماعة ، ويجب أن تنصرفوا عن الإساءة الغيركم .

واجب المسلمين نحو جماعتهم :

هذا واجبكم نحو جماعتكم ، وجهكم إليه إسلامكم . أنتم ، أعضاء هذه الجماعة تشرون بوجودها ، ومصيركم مرتبط بمصيرها . ولذا أنتم وحدكم أخلص وأقدر على أداء ما يطلب منكم في سبيل بقائكم . ومن يقن منكم أن غيركم من خارج جماعتكم يمكن أن يشارككم في دفع العدوان عليكم ، وفي حفظ استقلالكم — كجماعة خاصة — فقد توقع ما يستبعد وقوعه من طبيعة البشر . تروى عائشة رضي الله عنها أنها قالت :

« خرج النبي صلى الله عليه وسلم قبل بدر (أي متجها إلى بدر) فلما كان ب « جرة الويرة » (موضع على أربعة أميال من المدينة) أدركه رجل يذكر بالجرأة والتجدة ففرح به الأصحاب ؟ فقال للنبي صلى الله عليه وسلم : جئت لأتبعك وأصيب معك — فقال : تؤمن بالله ورسوله ، قال : لا . قال فارجع فلن أستمع بمشرك ، ثم مضى ، حتى إذا كنا ب « الشجرة » أدركه الرجل فقال له كما قال أول مرة ، فرد عليه النبي صلى الله عليه وسلم كلمة الأولى . ثم رجع فادركنا ب « البيداء » فقال كالأول فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : تؤمن بالله ورسوله ؟ قال : نعم فقال له : انطلق . فأنزله رسول الله بالمشاورة في الدفاع ، بعد أن أصبح عضوا في الجماعة المؤمنة .

فالمشرك بشركه قد بعد كل البعد عن هدف الجماعة الإسلامية وغايتها فلا يتوقع منه أنه يخلص إن اشترك مع المسلمين في الدفاع عن جماعتهم . لأنه على النقيض منهم ، إذ هو عدوهم . وكذلك الشأن مع كل من يناوئ جماعة المسلمين في أهدافها ويحول بينها وبين الاحتفاظ بكيانها كأمة غير تابعة وغير مستذلة — لا يصدق إن تحدث عن معاونه ، ولا يخلص إن شارك في عمل يتصل بصميم استقلال الجماعة الإسلامية .

الحياة كفاح . وكفاح المسلمين في سبيل بقائهم هو الطريق لحياة كريمة ، وهو الطريق للبناء . فليكونوا أصحاب سلم وتسامح ، ولكن عليهم أن يقاوموا كل من يريد إفناءهم ، أو إزلالهم .

التكافل في المحافظة على الولاء

١ — يقول الله جل شأنه : « والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض »^(١). أى المؤمنون والمؤمنات حماة بعضهم بعضاً ، ورققاء بعض لبعض . وأخبر القرآن عنهم بأنهم على هذا النحو من الولاء في العلاقة بينهم ، ليشير إلى أن كونهم مؤمنين يجب أن يستتبع أن يكونوا أقباء : بعضهم من بعض ، ونصراء : بعضهم لبعض . لأنهم ساعة أن آمنوا ، آمنوا بأنهم : « يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ ، وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ ، وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيَطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ »^(٢) .. فقد آمنوا ، مشتركين فيما آمنوا به من مثل وقيم في هذه الحياة .

وشأن الاشتراك في الإيمان بأهداف واحدة عليا ، أن يحمل الإخلاص والنصرة والرفقة بين المشتركين جميعاً في علاقة بعضهم ببعض : أمراً لازماً . ولو أن هذه الأهداف كانت مادية من أعراض هذه الحياة الدنيا ، كالأستيلاء على المير وسلب ما في يده من مال وثروة ، أو تسخيرها فيما لا يسخر فيه إنسان ذو كرامة ، لما كان الاشتراك فيها مستتبعا : « الولاء » بين المشتركين والإخلاص والنصرة في علاقاتهم . ولو أنه لم يكن هناك إيمان أصلاً بالأهداف السامية عن مادية الحياة ، وكان موضع الإيمان بها معرفة وعلم بها فقط — لما كان الاشتراك في العلم بها مستتبعا أيضاً : « الولاء » والنصرة في العلاقات .

اتحاد الهدف ونزاهته :

إنه الإيمان ، والإيمان بالمثل والأهداف النزيهة عن دناءة ما في هذه الحياة من متع مادية موقوتة — هو الذى يحيل الاشتراك فيه إلى علاقة الولاء ، والمحبة

(٢) التوبة : ٧١ .

(١) التوبة : ٧١ .

والنصرة بين المؤمنين جميعاً . ومن أجل هذا ، قال القرآن الكريم في صيغة الإخبار ، وفي وصف الإيمان : « والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض » .

وإذا لم يأمر المؤمنين بأن يكون بعضهم ولى بعض ، وأن يتبادلوا الحماية والنصرة فيما بينهم ، وأن يتعاونوا على إيجاد الولاء والرفق في صلاتهم ، لأن ذلك أمر لا يحتاج إلى إنشاء جديد بين المؤمنين ، بعد أن يصبحوا مؤمنين . وكان الإيمان مستلزماً لهذا النحور من العلاقة بين المؤمنين ، كما هو مستلزم ضد هذه العلاقة من التوتر ، وعدم المعاونة في الصلوات بمن ينسكروا عليهم رسالتهم في الحياة وهي الرسالة التي أوحى بها الله لرسوله عليه السلام : يقول جل شأنه : « لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ، يُؤَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ [أى خالفهم في إصرار] وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ ، أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ »^(١) .

وإذن مقتضى الإيمان أن يحيل علاقة المؤمنين بعضهم ببعض إلى رقة ، ونصرة ، ويحيل كذلك علاقتهم بمن عداهم ممن يناصبهم العداوة من أجل وجودهم ومن أجل حياتهم ومن أجل أهدافهم .. إلى توتر وكراهية .

ولكن قد يواجه القرآن المسلمين بالنهى الصريح عن الموالاة لخصومهم في بعض الحالات . وذلك إذا بدا في موالاتهم لغيرهم : الخطر على جماعتهم وكيانهم كأمة مستقلة برسالتها وأهدافها : على نحو ما يقول القرآن : « وَدَّوْا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا [أى تكونون على نحو ما يشتهون] فَتَكُونُونَ سَوَاءً [أنتم وإياهم ، وعندئذ لا استقلال لكم ، وليست لكم رسالة خاصة] فَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ أَوْلِيَاءَ »^(٢) .. فإذا بدت العداوة والبغضاء من أفواههم ، وظهر الخطر على جماعة المؤمنين من تصرفاتهم ، عندئذ يمنع المسلمون منعاً واضحاً من التودد إليهم ، فضلاً عن الركون إلى مشورتهم ، ويترك أمر الموالاة فيما بين بعضهم بعضاً فقط .

المحافظة على ولاء المسلمين بعضهم لبعض :

٢ — ولأن الموالاة بين المؤمنين والمؤمنات بعضهم مع بعض ، تكاد تكون أمراً مفروغاً منه بد إيمانهم ، لا يحتاج في تأكيده إلى أمر خاص من الله سبحانه — كانت أوامره جل شأنه في جانب علاقات المؤمنين بعضهم ببعض يتجاوز أصل الموالاة ، وأصل الرقة والمودة إلى ما يحفظ بقاءها وإدامتها . يقول القرآن الكريم : « وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا [أى تحاصموا وتنازعا] فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى [أى تجاوزت الحدود في الخصومة والنزاع ، وذلك عندما يشتد الهوى عندها وتقوى الرغبة الخاصة] فَقَاتِلُوا [أى كالخوا] الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ . [أى ترجع إلى الحدود الَّتِي رَسَمَهَا اللَّهُ فِي الْمَلَاقَةِ بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ ، وهى هنا الموالاة والنصرة] ، فَإِن قَاتَلَتْ [ورجعت] فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ^(١) » . وهنا يطلب القرآن من المؤمنين أن يتعاونوا وأن يتكافلوا ، لا في إقامة الولاء في العلاقات بين بعضهم بعضاً . ولكن في الحرص على بقاء هذا الولاء وفي استمراره بدفع النزاع والخصومة ، وتسوية الأمر بين المتنازعين تسوية عادلة . ويؤكد معنى هذا الأمر : أمر آخر في الآية الَّتِي تَتْلَى هذه الآية مباشرة وهى : « إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ، فَأَصْلَحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ، وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ^(٢) » . فلم يأمرهم القرآن في هذه الآية بأن يكونوا إخوة لأن ذلك أمر مفروغ منه ، بعد الاشتراك في الإيمان بالله ورسالته ، وإنما أمرهم جميعاً بالتعاون والتكافل في التوفيق بين المتنازعين فيهم ، وعبر عن المتخاصمين منهم : بالأخوين ، إشعاراً بأن من شأن الملاقة الَّتِي أساسها الإيمان : أن لاتنفصم ، وأن لاتخرج بحال عن علاقة

«الأنخ يأخيه ، والرفيق برفيقه ، والمشارك لمشاركه في الحياة ، وأن النزاع الذى يحدث هو شئ طارىء ، مصيره إلى الزوال .

هذا هو تحديد القرآن لعلاقة المسلمين بعضهم ببعض . إيمانهم بالله يستتبع أن يكونوا إخواناً في الله وفي سبيله . وأن تكون علاقة بعضهم ببعض أسبق ومفضلة على علاقتهم بغيرهم . وإذا كان غير المسلمين لا يألو جهداً في التضيق عليهم ، وقد يضمم لجماعتهم الفناء ، فعليهم أن يتصبوه العداء ، دون الولاء . إن كانوا من أولئكم : «الذين يوفون بعهد الله ولا يتقضون الميثاق . والذين يصلون بما أمر الله به أن يوصل ، ويخشون ربهم ، ويخافون سوء الحساب^(١)» .

عدم الخداع فى الصلّات بين الأفراد والجماعات

الإسلام دين الفطرة الإنسانية . ومعنى ذلك أنه يحدد فى اتجاهاته ووصاياه ماتنمو به الطبيعة الإنسانية فى صفاتها التى فطر الناس عليها ، من غير التواء ولا اعوجاج . وصاياه وتعاليمه وتوجيهه الفرد فى صلته بغيره ، والجماعة فى صلّتها بغيرها ، والشعب فى علاقته بشعب آخر ، توجيهها ليس فيه مواربة ولا تدليس ولا خداع فيه . يحارب الخداع والمواربة فى علاقة المسلمين بالله ، ويطلب منهم أن يكونوا مخلصين فى عبادته : « قَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ . أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ » (١) . ينصح المسلمين منذ نشأتهم على أن يدربوا أنفسهم على عدم انطواء قلوبهم على الغش والخديعة لغيرهم ، ويبشر من اتبع ذلك بأن تكون الجنة مكفولة له : يروى أنس رضى الله عنه قال : قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يا بنى ان قدرت ان تصبح وتمسى ، وليس فى قلبك غش لأحد فافعل . ثم قال لى : وذلك من سنتى ، ومن أحيا سنتى فقد أحبنى ، ومن أحببني كان معى فى الجنة » .

الخداع إذن مناف للفطرة السليمة ، ومضاد للتوجيه المستقيم . الخداع نوع من التضليل فى المعاملة والعلاقات . الخداع يقوم على سوء النية ويهدف إلى الانتصار الرخيص ، الانتصار الوقتى الذى تسوء عاقبته على المخادع نفسه : « يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا ، وَمَا يُخَادِعُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ » (٢) .

الإسلام يحارب الخداع فى جميع صوره ، لأن نتيجته مفجعة مؤلمة للطرفين لمن خدع غيره ، ولمن خدع به . والرسول صلى الله عليه وسلم فيما يروى عن أبى هريرة رضى الله عنه يقول : « حسن الظن من العبادة » .. فيقتاع بذلك الأساس الذى يقوم عليه الخداع والتضليل وهو سوء الظن ، سواء : سوء ظن الفرد بالفرد ، أو سوء ظن الجماعة بالجماعة .

يعتبر بعض الناس أن الخداع ضرب من الكياسة فى المعاملة ، واسكنه فى واقع

الأمر مكروسيء يحق أثره الخبيث بالماكر نفسه. لأن الذي يعتاد الخديعة في معاملته لغيره يتضح أمره بعد قليل ، ويكشف بذلك عن سوء نيته ، فيجتنبه الناس لآخوفاً منه لأنه قد عرف ، ولكن احتقاراً له : « ولا تطع كل حلاف مهين . هازم شاء بنميم »... بهذه الآية السكرية ينصح المولى جل وعز رسوله الكريم بتجنب الساعى بالافساد في مواربة وخداع ، ويصفه بأنه مهين محقر .

ويعتبر بعض الشعوب أن الخداع في العلاقات العامة نوع من اللباقة السياسية . ولكن ذلك في واقع الأمر إفلاس : في كسب الشعوب عن طريق المودة والمعاونة في صورها المختلفة .

إن الذي يعلن صداقته للدين وهو يحاربه : مخادع ، والذي يعلن عشقه للحرية الفردية أو الشعبية وهو شاهر سيفه : مخادع ، والذي يعلن تودده للفقراء : وهو ممسك عنهم البذل والاعطاء : مخادع ، والذي يعلن حبه للإنسانية وهو جلاذ أو مستغل مخادع ، والذي يعلن حسن العلاقة بينه وبين القيم الرفيعة والفضائل الإنسانية وهو مادی منحرف في ماديته : مخادع .

الاستعمار خداع ، والاشتراكية العالمية خداع ، والمدينة الانسانية إن لم تخدم المثل العليا في صراحة فهي خداع .

ومن الآيات على أن الإسلام دين الله ، دين الانسانية عامة : أنه أبعد الخداع في علاقات الانسان ربه وبغيره ، وفي علاقات الشعوب بعضها مع بعض ، وبالغ في إبعاده ، لأنه لا يكون معه إخوان ووثام ، وهو يسعى في هدفه الأخير إلى الإخاء والوثام . هذا دين الله . هذا هو الإسلام . فلا تطمئن إلا لمن تأمن جانبه . نَح عَفَك كل مظاهر الاغراء فيما يحكى أو يبدي لك من آراء . وكن في ذاتك غير مخادع ، إذا أردت أن تنجح كفرد أو كشعب .

وقد يلقى المستقيم أول الأمر عتاك ومشقة في سبيل الوصول إلى غايته ، ولكنه بعد ذلك : الناجح المطمئن الذي أَرْضَى نفسه وربه .

الرعاية والمسئولية

يروى عن رسول الله ﷺ أنه يقول : « كلكم راع ، وكلكم مسؤول عن وعيته » .. ومعنى هذا الحديث : أن كل من له أهلية التصرف من الأفراد هو راع على نفسه ، وراع أيضاً على من هو في ولايته من الأبناء أو الأقرباء وذوى الرحم أو اليتامى ، ممن هم جميعاً في دور التكوين والاعداد وبحاجة إلى التوجيه والارشاد . لأنه لم تنهياً لهم بعد الاستطاعة لأن يدركوا الأمور إدراكاً واضحاً ، وبالتالي يحسنوا الفصل فيها والسلوك طبقاً لما تقتضيه المصلحة العامة والخاصة على السواء .

ودائرة كل راع تختلف في السعة والضييق ، حسب وضع الراعى ومكانه في الولاية الخاصة أو العامة . فرعاية الزوج قبل أن يكون أباً ، والزوجة قبل أن تكون أما : مجالها أضيق ، مما لو أصبح كل منهما ذا ولد ، أو ذا قرابة قريبة أو بعيدة . ورعاية الوالى في ولايته العامة تضيق وتتسع حسب ماله من سلطة ، وحسب ما ألقى عليه من تبعه .

والرعاية التي يفرضها الإسلام على الراعى في دائرة الأسرة ليست رعاية الاتفاق وتبدير الأمر في سبيل حفظ الحياة فقط عن يرعاهم الراعى في أسرته . بل مع ذلك رعاية التوجيه لهؤلاء . ورعاية توجيه هؤلاء ليست في دفعهم إلى المدرسة وتركهم لرسالتها التي تقوم بها ، دون أن تكون هناك مشاركة إيجابية من أولياء أمورهم - وهم ائراعون عليهم - ومساعدة قوية نفاذة على تحقيق هذه الرسالة . وإنما تتمثل رعاية توجيه الأب لأولاده وأقاربه ، وتوجيه الأم لأولادها وأقاربها في الملاحظة الدقيقة المستمرة لسلوك أبنائهم وأقاربهم ، وفي تكوين العادات الصالحة التي تقيمهم وتقي مجتمعهم شرور العادات السيئة ، وشرور الانحراف في السلوك على العموم . تتمثل رعاية توجيه الأب والأم للأولاد والأقارب في القدوة الصالحة التي

برسمانها بحسن سلوكهم وحسن تصرفهم رسمًا عاليًا واضحًا لهؤلاء الأولاد والأقارب .
والمدرسة إن تكفلت في الدرجة الأولى بتزويد الطلاب والطالبات بالمعلومات
المتنوعة التي تصورها مناهج المواد المختلفة فيها - فالمنزل بمن فيه من الأب والأم
واجب عليه أن يتكفل بتنشئة هؤلاء الطلاب والطالبات على الخلق الإنساني
الكريم ، لا بالنصح فقط .. ولكن بالتبعية لكبت العادة السيئة وتنمية العادة
الفاضلة .

إن المدرسة والمنزل كليهما يجب أن يسعى إلى هدف واحد . وهو تجنب
الطاب أو الطالبة الانحراف في الحياة . تجنبه المدرسة هذا الانحراف عن طريق
تبصيره بالمعرفة السليمة . وتجنبه المنزل هذا الانحراف أيضًا بالتهذيب في السلوك .
وليس التهذيب إلا تكوين عادات فاضلة مكان عادات قبيحة .

وهنا تؤدي المدرسة رعايتها ، ويؤدي المنزل رعايته . وعندئذ يكون من المدرسة
والمنزل تعاون في التوجيه . وعندئذ يتحقق قول الرسول عليه الصلاة والسلام :
« كلكم راع » .. فإن كل راع إذا قام بما فرض الله من رعاية كان المتعاون في
الرعاية أمرًا محققًا في حياة المجتمع .

والمنزل - بمن فيه من الأب والأم - إذا كان واجبًا عليه أن يقوم بالرعاية
في التوجيه ويسهم إسهامًا قويًا فعالًا في هذا الجانب مع المدرسة - فالأم على وجه
الخصوص يقع عليها عبء ذلك . إذ منزلة الأم - وهي التي وهبت خصائص
الأمومة من الحمل والارضاع والحضانه - أثرها على توجيه الولد أقوى وأبقى من
توجيه الأب له . ليس فقط لطول الزمن الذي تتصل فيه الأم بولدها . وإنما لما طغته
التي تناسب منها إليه ، تلك العاطفة التي تصاحب لبن الرضاعة وتبرز في صورتها
القوية عندما تحنو عليه الأم وهو يقتطف منها غذاءه ، كذا مرة في اليوم واليلة .
ومنزلة الأم هذه في حياة ولدها شدد الإسلام فيما أوصى به عند اختيار الزوجة ،

أم الولد مستقبلاً . فأوصى باختيار ذات الدين ، ذات الخلق الكريم ، وتفضيلها على غيرها ممن تكون لها مسحة جبال ظاهر ، أو لها وجهة مال أو شرف عارض .
قال الرسول صلى الله عليه وسلم : « ... فاطر يذات الدين ، تربت به الله » .. أى إن لم تختتر صاحبة الدين والخلق الكريم ، وآثرت عليها ذات الجمال الجسمى للجمال ، أو ذات الجاه ، أو ذات المال : فانتظر الاضطراب والقلق و علاقتك بها ، وانتظر آثار الاضطراب والقلق ، مما يؤدى إلى فقر يدك أو إذلال نفسك .

والأم صاحبة الخلق الكريم - وهى صاحبة الدين - سيكون تأثيرها على ولدها من نوع ما عرفت به من تهذيب وسلوك مستقيم .

الإسلام إذ يوصى بقيام كل راع بأمر رعيته ، وبالتعاون فى هذه الرعاية - يقر أيضاً المسئولية الشخصية والفردية على كل راع . فيقول الرسول الكريم فى هذا الحديث : « ... وكلكم مسؤول عن رعيته » .. ليؤكد أمر القيام بهذه الرعاية ، وبالتعاون فيها .

وهذه المسئولية الشخصية تعطينا : أن الإسلام يطلب من المؤمنين به أن يكون كل واحد منهم بناء فى أمر نفسه ، وفى أمر أسرته ، وفى أمر مجتمعه . كما تعطينا أن الدولة وهى صاحبة الولاية العامة لا ينبغي أن تتحمل كل شئ وحدها ، وتعمل للجميع دون أن تكون هناك معاونة من الجميع لها .

وإذن المدرسة إذا كانت تصور رعاية الدولة فى التوجيه ، فالمنزل يمثل إسهام الجميع مع الدولة فى هذا التوجيه . وعندئذ يكون الخير للجميع ، وعندئذ يكون التعاون على البر والتقوى .

أداء الواجب أولاً

« الواجب » هو مقابل « الحق » . فما يؤدي للغير هو الواجب ، وما يؤخذ للذات هو الحق . وكلا الأمرين : الواجب والحق ينتهيان إلى شيء واحد مختلف فقط بالنظرة إليه . فالخدمة التي تؤدي في المجتمع إلى فرد من فرد آخر هي حق لمن حصل عليها ، وواجب في الوقت نفسه على من قام بها . والذي يحصل على الحق لذاته يقوم بأداء واجب لغيره .

... وهكذا خدمات المجتمع هي واجبات تؤدي وحقائق تحصل باعتبارين مختلفين ، ولكنها كلها في واقع الأمر واجبات . على معنى أنها التزامات يقوم بها أفراد المجتمع جميعاً . فإذا لم تؤدي هذه الالتزامات فليس هناك بانتالي أمر ما : يسمى بـ « الحق » يصل إلى صاحبه . والحقائق إذن آثار الواجبات ، أو هي أداء الالتزامات .

وعليه يطالب أفراد المجتمع أولاً بالذات بالقيام بالواجب . وطبعاً هو يختلف بالنسبة لكل فرد حجماً وكيفية . وهنا كان نظام : « الوظائف » في الدولة . وهو أشبه بنظام الجسم في أداء وظائفه العديدة والتي تنتهي جميعها في قيام كل منها بعمله لصالح الجسم ككل ، لصالح كل فرد من وظائفه على حدة .

إن الفلاح مثلاً في الأرض الزراعية ، والعامل في المصنع يجب عليه أن يباشر الإنتاج في الحقل والمصنع ، ولكن من حقه أن يتمكن من الانتاج . وحقه في التمكن من الانتاج يتمثل في توفير وسائل الانتاج نفسها ، وظروف الأمن لنفسه وماله وأسرته ، وظروف الخدمات الأخرى من الصحة والتعليم وغيرها مما يلتزم بها المجتمع لأفراده جميعاً .

والذين يباشرون وظائف الخدمات العامة في الدولة من الواجب عليهم القيام بما يساعد الفلاح والعامل على الانتاج الزراعى والصناعى من توفير وسائل الانتاج المادية والعلمية ووسائل حفظ حرمان النفس والمال والعرض والمسكن ، وأنواع التعليم والتثقيف المختلفة ، وتوفير الوقاية من الأوبئة والأمراض المنتشرة قبل توفير العلاج والدواء ... الخ .

ومن حق هؤلاء الموظفين تمكينهم من أداء هذه الخدمات كلها بما يضمن لهم ولأسرهم الحصول على قسط من إنتاج الفلاح والعامل ، وقسط آخر من نفس الخدمات التى يباشرونها كواجب عليهم .

* * *

وإذن أداء الواجب فى ذاته أصل فى المجتمع على كل فرد ، ثم التمكن من أدائه حق لكل فرد فيه أزم بأداء هذا الواجب .

وعندما تقدر الدولة فى المجتمع أسعار المحاصيل الزراعية للفلاح ، وأجر العامل فى المصنع ، ومرتب الموظف فى أجهزة الخدمات العامة ... تحدد المدى الذى يتمكن به كل واحد منهم فى أداء واجبه . وحصيلة الثمن لتفائض الانتاج الزراعى للفلاح — كأجر العامل ومرتب الموظف — لا يقصد به التعادل مع أداء الواجب أكثر من التمكن فى أدائه . وهنا يجب أن لا يقرن ما يحصل عليه كل من الفلاح والعامل والموظف فيما يسمى حقوقاً لأى منهم بما يعرف بالواجبات التى تؤدى منهم ، بحيث يصبح الواجب « سلعة » يساوم على أدائه ويصبح الحق « ثمناً » لهذه السلعة .

ولكن سوء تقدير الدولة فى المجتمع منذ الثورة الصناعية فى الغرب لتمكين المواطن لأداء واجبه ، وهو حقه فى العيش والحياة الإنسانية الكريمة ، جعل المواطنين لا يستطيعون فى أمانة وإخلاص أداء واجبهم كإبنى ، أو بالتالى حملهم

على المطالبة بمزيد في توفير أسباب العيش والحياة لتمكينهم من أداء ما يجب على المواطن إزاء المواطن الآخر . وهذه المطالبة تبلورت فيما بعد فيما يسمى بـ « العدالة الاجتماعية » أو بالنظرة في « إعادة توزيع الثروة القومية » . ووصل الأمر فيها إلى نظرية : الصراع الطبقي .

وفي ظل ما انتهت إليه العلاقة بين الواجب والحق من التقييم المادي على أساس : أن الواجب سلعة وأن الحق ثمن لهذه السلعة ... دخل عامل « الزائدة » في الثمن . وهذا بدوره هياً السبيل النفسى إلى الاقلال من شأن أداء الواجب ، كالتزام ضرورى لبقاء المجتمع أى مجتمع ، أو أدى إلى إغفاله وتناسيه . وانطبقت عليه عندئذ تلك الظاهرة الاقتصادية ، وهى أن السلعة كلما ارتفع ثمنها قلّ الاقبال على شرائها واقتنائها ، أو كاد ينعدم .

وانعكس هذا الوضع على الموقف النفسى للإنسان من أداء الواجب ، وظهر له موقف السلبية واللامبالاة نحوه ، كما انعكس كذلك على موقفه من الحق ، وظهر طلب المزيد فيه كثمن لسلعة وانلواحياناً فيما يطالب ، غير مقرن ما آكل إليه أداء الواجب في موقفه منه بما يطلبه ويغلو فيه من طلب .

ومهما زيد في « الحق » كسلعة ، فإن ذلك لا يسكون على حساب أداء الواجب في ذاته فحسب ، ولكنه في الوقت نفسه لا يقف بطلب الزيادة عند حد معين . لأن طلب الزيادة أصبح هدفاً مباشراً وبارزاً ، ومن ورأه من بعيد : أداء الواجب . وعندئذ يكون : « الضمور » في أداء الواجب ، وبالتالي : العجز عن الوفاء بالحق . إذ الحق الذى يعطى هو أولاً واجب يؤدى من آخر .. ثم أثر الأغراء المادى الناشئ عن الزيادة في الحق كثمن لسلعة ، والدفع المتكرر لهذا الإغراء في طلب المزيد فيها إلى غير نهاية .. فظهرتان تلازمان الآن وضع العلاقة في

المجتمع الإنسانى بين الواجب .. والحق ، وتثيران اهتمام النظم السياسية والاجتماعية المختلفة نحو إيجاد جو يسود فيه الاستقرار وتحسن فيه العلاقات بين المواطنين جميعاً .

* * *

ولكن نقل الواجب وأدائه من دائرة الالتزام الأدبى والاجتماعى فى المجتمع إلى دائرة السلع المادية التى يساوم فى شراؤها .. هو فى ذاته إضفاف لمعنى الواجب وانتهاك لحرمة ، وتخفيف من أثره فى نفوس الأفراد . وذلك وحده من شأنه أن يثير القلق ، سواء بسبب ماينتج عن التقصير فى أدائه : من العجز فى الوفاء بالحق ، أو بسبب المشاكل الخاصة بالزيادة التى تتعلق بالحق نفسه : فى الحاصلات الزراعية وفى أجور العمال فى المصانع . وفى مرتبات القائمين بالعمل فى الأجهزة والمصالح المختلفة للدولة . إذ الحق كما أسلفنا أصبح مفهوماً يتضمن تقدير الدولة للمستوى المعيشى الذى يمكن المواطن من أداء الواجب .

وإذن التمدادى فى الإغراق المادى فى الحقوق ليس هو علاج الأمر . وليس علاجه كذلك التبشير بالفلسفة التى تقيم الإنسان وتزن عمله بقيمة مادية كخصيلة لجمع وطرح حسابى ، ولا التبشير بتلك الفلسفة الأخرى التى تربطه بالمنفعة والمصلحة المادية وتبرر العمل الإنسانى بنتائجها الغائية .

وإنما علاجه هو رد الواجب إلى وضعه الأصيل فى المجتمع . وهو وضع الأمر الذى له قدسيته واحترامه ، والذى يلتزم الفرد بأدائه فى الشدة والرخاء على السواء .

ولكن لا يصل الواجب إلى وضعه الأصيل هذا إلا عن طريق الإيمان بالله . والإيمان بالله الذى يستتبع آثاره هو ما كان عن اختيار حر : « لا إكراه فى الدين . قد تبين الرشد من الغى » .

وعندئذ يستلزم هذا الإيمان : الأخذ بتقدير كتاب الله للوجود الدنيوى والأخروى ، فى مثل قوله تعالى :

« إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ ، وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ ،

« مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا ،

« وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ

يَرْزُقُونَ فِيهَا فَيُمْسِكُ حِسَابٌ » .

وهذا التقدير لا يضع الثقل فى جزاء على أداء الواجب : على الجزاء المادى وحده فى الوجود الدنيوى ، إنما بالإضافة إلى هذا الجزاء هناك جزاء أخروى أيضاً . وهذا معناه عدم التركيز فى جزاء الواجب على المتع الدنيوية وحدها ، بحيث تصبح موضوعاً للإغراء والتهافت والتهالك ، وبحيث يضيع أداء الواجب فى زحمة التهالك والمساومة عليها .

... كما يستلزم هذا الإيمان أيضاً : الاعتقاد بأن الله يحصى لكل مؤمن خطواته فى سبيل أداء الواجب وقت الشدة وما يتحمل من مشاق وصعاب فيها ، وما يعطى من نفسه وماله ليتمكن من أدائه ، كما يحازى على من قام به : الجزاء الأوفى ، على نحو ما نتحدث به هذه الآية :

« مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا بِأَنفُسِهِمْ عَنْ نَفْسِهِ ،

« ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ [عطش] ،

« وَلَا نَصَبٌ [تعب] ،

« وَلَا مَخْمَصَةٌ [جوع] ، فى سبيل الله ،

« وَلَا يَظْأُونُ مَوْطِنًا يَغِيظُ الْكَافِرَ ،

« وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوِّ نِيلًا [بِالْأَسْرِ أَوْ بِالْقَتْلِ] ...
 « إِلَّا كَتَبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ ، إِنَّ اللَّهَ لَا يُضَيِّعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ .
 « وَلَا يَنْفَقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً ،
 « وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا ، إِلَّا كَتَبَ لَهُمْ [أَجْرٌ مَوْجُوزٌ] ،
 « لِيَجْزِيَهمَ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ^(١) » .

... وفي الوقت نفسه يستلزم كذلك : أن رعاية الله دائمة في كل وقت ،
 سواء في هذه الحياة أو في الدار الآخرة ، وأن هذه الثانية تتميز عن الأولى تميزاً
 واضحاً . على نحو ما جاء في قوله تعالى :

« نَحْنُ أَوْلَاؤُكُمْ ، فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ، وَفِي الْآخِرَةِ ، وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهَى
 أَنْفُسُكُمْ ، وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ [مَا تَتَمَنَّوْنَ] » .

ولا شك أن الاعتقاد بمثل هذا كله يحمل النفس على الاقبال على أداء الواجب
 دون انتظار الجزاء العاجل . بل يحملها أيضاً على التضحية في سبيله ، وفي الوقت
 نفسه لا يفقدها الأمل ، لا في هذه الحياة ، ولا في الدار الأخرى المترتبة .. لأن الله
 الذي آمن به الإنسان قطع الوعد على نفسه بالنصر في هذه الدار ، وفي تلك ، كما
 تنبئ الآية الأخيرة . ووعد لا يتخلف : « إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ » .

وبذلك تسير الطبيعة البشرية في اتجاه صحيح وتتغلب على اتجاه المساومة
 والمبادلة المادية حتى في صلتها بخالق الكون نفسه ، إن تركت بغير التزام بتوجيه
 إيماني سليم . وتصف الآيات التالية هذه الطبيعة قبل توجيهها بالإيمان :
 « لَا يَسْأَلُ الْإِنْسَانُ مِنْ دُعَاءِ الْخَيْرِ [طَلَبِ الْمَالِ وَالْمَتَعِ الدُّنْيَوِيَّةِ] ،
 « وَإِنْ مَسَّهُ الشَّرُّ فَيَؤُسْ قَنُوطٌ [مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ] .

« وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ رَحْمَةً مِنَّا مِنْ بَدِّ ضَرَاءِ مَسْتَلِيمٍ قُلُون : هَذَا لِي ، وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً ، وَلَئِنْ رَجَعْتُ إِلَى رَبِّي إِنَّ لِي عِنْدَهُ لَلْخَسَى [الجزاء الحسن] ،

« فَلَنُنَبِّشَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِمَا عَمَلُوا وَلَنَذِيقَنَّهُمْ مِنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ .
« وَإِذَا أُنْمِنَّا عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَى بِجَانِبِهِ ، [عن أداء الواجب] ،
« وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ [من فقر أو مرض ..] فَذُودُوا دُعَاءَ عَرِيضٍ [كثير] .

فهذه الآيات تنبئ بأن غلبة الاتجاه المادى على الطبيعة الإنسانية وسيطرته على سلوكها وفيما تآتى به من عمل بناء أمر أصيل فيها : طلب للمال والمتع المادية واستزادة فيها . فإن حصلت عليها تنكرت لكل شئ . وأنكرت كذلك كل شئ . ، حتى صاحب الفضل عليها وخالقها وهو الله سبحانه وتعالى .

وإن لم يصبها مال ومتع مادية ، أو أصابها وفقدته ، اتبها اليأس وأقمدها عن العمل ، وسارعت إلى الشكوى وملأت بها جو الحياة .

لا يمكن هذه الطبيعة من التغلب على هذا الاتجاه المادى المفرط فيها المؤدى إلى هلاك الفرد وفناء المجتمع ، والخروج بها إلى اتجاه إنسانى يحمل على أداء الواجب . ويشارك بذلك فى البناء القوى للأمة : سوى الإيمان بالله وحده .

« وَالْعَصْرُ . إِنَّ الْإِنْسَانَ لَسَفِي خَسِرَ .

« إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ، وَتَوَّصُوا بِالْحَقِّ ، وَتَوَّصُوا بِالصَّبْرِ .

والحق هنا ليس هو الثمن على أداء الواجب . وإنما ما ينبغى أن يكون من مبادئ . وقيم . لأن الذى آمن ، وعمل صالحاً - والعمل الصالح هو ما يجب أدائه - . وتوَّاصى مع غيره بالصبر فى الشدائد والأزمات . . لا يكون من طلاب الحق بمعنى الأجر المادى على ما يؤدى من واجبات .

وإذا طلب هنا الآن من الفرد : أن يكون واجباً عن طريق الإيمان بالله .
وليس مساوياً على أداء الواجب . . فإنه يطلب مع ذلك أو قبل ذلك عن
طريق الإيمان بالله أيضاً : استنفاد وسائل الرعاية اللازمة لجميع أفراد المجتمع ،
وتحقيق العدل ، والمساواة في الاعتبار البشري ، والمشاركة في الرأي كالمشاركة
في العمل .

وعندئذ : إذا كان هناك قصور في الرعاية فمن عجز عام ، وليس عن سوء
توزيع ، وسوء تقدير أو استغلال ، وما شابه ذلك مما يفرق بين فرد وآخر ،
ويسىء إلى الفرد الذي لم يظلم ولا يحسن الآخر الذي تميز ، كما يسىء إلى أداء
الواجب نفسه .